# احياء الذكرى الخمسين لمجزرة كفر قاسم

عوني فرسخ*

■ في التاسع والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) 1956، وغداة مباشرة القوات الصهيونية غزو سيناء كمقدمة للعدوان الثلاثي على مصر، وتحسبا من ردة فعل عرب الارض المحتلة سنة 1948، اعلن منع التجوال في مناطق الكثافة السكانية العربية. وتصادف ان كان عدد من فلاحي كفر قاسم عائدين من حقولهم، ولم تكن السلطة الصهيونية قد انذرتهم بمنع التجوال. وبرغم انهم كانوا عزلا من اي سلاح، وان بينهم نساء وشيوخا، فوجئوا بوابل من رصاص الجند دون انذار، فسقط منهم تسعة واربعون شهيدا وشهيدة. ولم يبد اي من الجناة ترددا في اطلاق النار على مدنيين المفترض انهم مواطنون اسرائيليون بحكم الامر الواقع. ذلك لان الصهاينة تربوا على عنصرية ترى في العربي مشروع قتيل دمه مستباح، خاصة ان كان فلاحا. باعتبار ان الفلاح، حتى وان كان اسرائيلي الجنسية، يضحد في تجذره في الارض اسطورة «ارض بلا شعب»، ابرز الاساطير المؤسسة للفكر والعمل الصهيوني.

وفي الذكرى الخمسين للمجزرة التقى آلاف من عرب فلسطين المحتلة سنة 1948، جلهم من ابناء وبنات المثلث، الذي لم يسقط في القتال وانما ظفر به الصهاينة في مباحثات الهدنة سنة 1949. وفي احياء هذا القطاع من الشعب العربي الفلسطيني ذكرى المجزرة النكراء ما يؤكد رفضهم الاستسلام الذليل لاحكام الواقع المأزوم. كما ان في مطالبتهم صناع القرار الصهيوني تحمل المسؤولية التاريخية والاخلاقية والقانونية عن جريمة القيادة المؤسسة لدولة اسرائيل، بتوجيه مقاتليها لعدم الاكتراث بالقانون الدولي وشرعة حقوق الانسان، مؤشر على ارادة التحدي. ويعلمنا التاريخ، استاذ البشرية الاول، ان رفض الامر الواقع وامتلاك ارادة تغييره اقوى اسلحة الشعوب في مواجهة الغزاة والمحتلين والانظمة المستبدة والفاسدة. وان يتم ذلك في زمن استشراء التصالح والتطبيع مع العدو، ومن قبل الحلقة، المفترض انها الاضعف فلسطينيا وعربيا، ففي ذلك اصدق الدلالات على الواقع العربي واوضح المؤشرات على الاحتمالات المستقبلية للصراع مع التحالف الامريكي – الصهيوني.

وفي مقدمة ما يستدل عليه من احياء الذكرى الخمسين لمجزرة كفر قاسم حيوية الذاكرة الجمعية للشعب العربي الفلسطيني، وانها عصية على التغييب والاستلاب، برغم ما يبذله التحالف الامبريالي – الصهيوني وتوابعه الاقليمية وحديثهم المتواصل عن تجاوز الماضي والعيش في الحاضر، ادراكا منهم لأهمية الذاكرة الجمعية، التي طالما كانت ملجأ الشعوب الحية في مواجهة التحديات، وابرز محفزاتها لاجتراح المقاومة الفاعلة في الواقع المأزوم. وليس ادل على ان نبض الحياة لما يزل يخفق في عروق الغالبية الساحقة من رجال ونساء فلسطين من توالي انتفاضاتهم منذ ثمانينات القرن التاسع عشر. واي قراءة موضوعية للواقع الراهن تدل دلالة قاطعة على ان صمود مقاومة هذا الشعب عظيم العطاء في خط صاعد وانه في الوطن المحتل، كما في الشتات العربي والدولي، هو اليوم اشد خطرا على حاضر ومستقبل التجمع الاستيطاني العنصري الصهيوني مما كانت عليه حاله عندما اقترفت مجزرة كفر قاسم في خريف 1956.

وثانية الدلالات الجديرة بالتنويه المستوى الحضاري الذي تجلى في مسيرة احياء ذكرى المجزرة بما بدت عليه من انتظام، كما بتخليد كفر قاسم ذكرى شهدائها بمتحف ضم بعض بقاياهم، وعلقت على جدرانه صور غالبيتهم، وفي نصب نقشت عليه اسماؤهم ووضعت عنده اكاليل زهور المشاركين. ولم يعد خافيا الفشل المريع لمخطط طمس الهوية القومية للمجتمع العربي في فلسطين المحتلة سنة 1948، بالتعاطي معه كاقليات دينية ومذهبية والتمييز فيما بينها، واتخاذ كل ما من شأنه تكريس تخلفه وتهميشه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

وفي احتشاد الآلاف لاحياء الذكرى في مواجهة العربدة الصهيونية دليل انكسار حاجز الخوف الذي عمل الصهاينة على تأصيله بالاحكام العسكرية والممارسات العنصرية. فضلا عن تنامي القدرات العلمية والتقنية لعرب الارض المحتلة سنة 1948. كما في حرص غالبيتهم على التواصل مع اشقائهم في الضفة والقطاع المحتلين، والتفاعل بايجابية مع نضالاتهم،، علاوة على التصدي لمخططات تهويد القدس وطمس عروبتها وتهديد المقدسات الاسلامية والمسيحية فيها. وكثيرة هي الكتابات الصهيونية التي تنضح قلقا بسبب النمو الديمغرافي والتطور الكيفي المتوالي للصامدين في ارض الآباء والاجداد. وفي ذلك كله دلالة قاطعة على ان الاحتلال وان طال، والتردي الرسمي العربي وان تفاقم، الا ان ارادة الصمود والمقاومة والتصدي للغزاة لما تزل متجذرة في ارض ما عرفتها البشرية الا عربية الوجه واللسان.

وليست مجزرة كفر قاسم الا واحدة من مسلسل دام من مجازر التطهير العرقي. ويقرر بني موريس، ابرز المؤرخين الاسرائيليين الجدد، انه خلال حرب 1948 كانت هناك مجازر وعمليات اغتصاب اكثر بكثير مما ضمنه كتابه الاول «ضحايا على حق»، وانه في نيسان (ابريل) 1948 صدرت اوامر عملية، من بن غوريون شخصيا، لوحدات الهاغاناه، نصت صراحة على اقتلاع الفلاحين العرب. ويورد موريس، استنادا لارشيف الجيش الاسرائيلي، مواقع العديد من تلك المجازر. فيما يذكر د. سلمان ابو ستة، الباحث العربي المختص، ان 35 مذبحة تحقق المؤرخون من وقوعها يومذاك، وان هناك ما يقارب 100 مذبحة، استنادا لمراجعات المؤرخين الاسرائيليين واليهود الجدد، ولشهادات مراقبي الهدنة التي شاهدها بعضهم وحقق فيها بعضهم الآخر.

وفي احياء الذكرى الخمسين لمجزرة كفر قاسم، وفي تخليد اهلها ذكرى شهدائهم بمتحف ونصب تذكاري، ما يحفز الاقتداء بما فعلوه في ظل الاحتلال. واذا كان الصهاينة، ومناصروهم على جانبي الاطلسي، قد شيدوا المتاحف واقاموا النصب لضحايا «المحرقة» النازية، رغم تشكيك بعض كبار المؤرخين الاوروبيين والامريكيين، فانه من حق شهداء المجازر الموثقة تاريخيا، ان تشاد لهم المتاحف وتقام النصب في كل عاصمة عربية واجنبية حيث امكن. والمسؤول عن ذلك القادرون من ابناء القرى المنكوبة، وقيادات فصائل المقاومة، وهيئات المجتمع المدني العربي، على الاخص ذات التوجه القومي والاسلامي.

ثم ان تحدي ابناء فلسطين المحتلة سنة 1948 التجمع الاستيطاني العنصري الصهيوني، انما ينطوي على ادانة صارخة لعدم ذكرهم، وحقوقهم الوطنية والانسانية المشروعة، في اي من اتفاقيات ومعاهدات الصلح، التي توالت بعد توقيع نظام السادات معاهدة كامب ديفيد سنة 1979. وبالذات اتفاق اوسلو الذي يتفاخر الرئيس محمود عباس بتوقيعه، متناسيا ان من بين ما تضمنته ملحقاته، التي يطالب الالتزام بها، النص على ان احكام سلطة اوسلو لا تسري على حملة الجنسية الاسرائيلية، مؤكدا بذلك تخليه وفريقه عن اشقائهم في الارض المحتلة سنة 1948.

* كاتب فلسطيني يقيم في الامارات

# حول ولادة الدولة الاسرائيلية الجديدة!

زهير اندراوس*

■ عشية الانتخابات الاخيرة للكنيست الاسرائيلي اجريت لقاءً صحافياً مع زعيم حزب العمل عمير بيرتس. كان الرجل متحمساً للغاية، ويريد ان يبعث الامل في نفوس الاسرائيليين والفلسطينيين على حد سواء، ان كان ذلك من الناحية السياسية او من الناحية الاقتصادية. ثارت ثائرته عندما قلت له انني اتخبط في المشاركة او عدم المشاركة في الانتخابات، وصعق اكثر عندما قلت له بالحرف الواحد انني اعرف نفسي: عربي فلسطيني يعيش في اسرائيل. رده لم يخل من الديماغوغية المزوجة بالانتهازية، التي باتت ماركة مسجلة لحزب العمل، المسؤول الاول والاخير عما حل بنا وبشعبنا الفلسطيني وبأمتنا العربية: عدم مشاركتكم في الانتخابات سيؤدي الى تقوية افيغدور ليبرمان المتطرف، قال الرجل الذي اراد ان يصبح رئيساً للحكومة.

ولكن سبحان مغير الاحوال وانصاف الرجال واصحاب ارباع المواقف: لم تمض على الانتخابات سوى اشهر معدودة، وها هو السيد بيرتس، يجلس في الحكومة الاسرائيلية مع المتطرف ليبرمان، زعيم حزب «اسرائيل بيتنا»، الذي لم ينقلب على نفسه، ولم يغير آراءه اليمينية والعنصرية والفاشية، بل تحوّل الى واضع الاجندة الاسرائيلية في جميع مناحي الحياة في هذه الدولة، ولا يستغربن احد اذا حصل هذا الفاشي، الذي قدم او استقدم الى «بلاد اللبن والعسل» من مولدافيا واستوطن في الضفة الغربية المحتلة، في الانتخابات القادمة على عدد كبير من المقاعد تؤهله لتشكيل حكومة.

على ضوء هذه التطورات غير الغريبة، بل المتوقعة، لا ضير في ان نسجل عدداً من الملاحظات:

اولاً: ضم ليبرمان الى الحكومة الاسرائيلية هو عملياً اضفاء الشرعية على العنصرية والفاشية من قبل اركان هذه الدولة، وهو بمثابة كشف عورات وعنصرية السياسيين في اسرائيل، والادعاءات بانه يوافق على الخطوط الاساسية للحكومة ما هو الا ذر للرماد في عيون الاسرائيليين اولاً، وفي عيون العالم ثانياً، فلحكومة اولمرت لا توجد خطوط، ولا يوجد اساس، وبالتالي لا تملك اجندة سياسية او اجتماعية او اقتصادية، بكلمات اخرى، انها حكومة اعتباطية، رئيسها مشبوه بمخالفات فساد ووزير «عدلها» متهم بمخالفات جنسية، والحبل على الجرار.

ثانياً: ادخال ليبرمان الى الحكومة هو تحصيل حاصل، فبعد الحرب العدوانية على لبنان، تنامت العنصرية داخل المجتمع الاسرائيلي على مختلف شرائحه، واصبحت افكار وآراء هذا المستقدم هي القاعدة، وليس الاستثناء، بمعنى ان ليبرمان يمثل اليوم شريحة واسعة للغاية من الاسرائيليين، الذين حولّوا العنصرية الى رياضة وطنية يمارسونها ببراعة خلاقة. والدليل على ذلك ان المجتمع اليهودي شهد تحولات كثيرة في الآونة الاخيرة، ففي السابق اعتبر المافون مئير كهانا خارجاً عن الصف بسبب افكاره عن العرب، ولكن اليوم الامر اختلف لان الارضية اصبحت خصبة لاستقبال العنصريين والحاقدين على العرب من امثال ليبرمان، ويكفينا ان نورد هنا انه عندما طالب ليبرمان باعدام النواب العرب في الكنيست الاسرائيلي، وافق على ذلك اكثر من 1500 شخص، وبرز هذا المعطى بشكل واضح في الردود التي نشرت في مواقع الانترنت باللغة العبرية.

ثالثاً: الاخطر مما ذكر سابقاً، ان ضم هذا الرجل الى الحكومة سيمنحه الفرصة الكافية لزيادة شعبيته في صفوف الاسرائيليين، وسيتمكن من نفث سمومه ونشر حقده بصفته نائباً لرئيس الوزراء، اي ان اولمرت وشركاءه في هذا المخطط، يريدون من خلال هذا الفاشي توجيه رسالة الى العرب الفلسطينيين في هذه الدولة بان ليبرمان سيعالجكم بحزم وصرامة، ولكننا نطمئنهم، باننا لا نخشاه، ونذكرهم باننا اصحاب الارض الاصلانيين، ولسنا سائحين او عابري سبيل او مستقدمين.

رابعاً: على الصعيد الدولي، يريد السيد اولمرت ان يوجه رسالة الى الجمهورية الاسلامية في طهران، بان جان ماري لابين الاسرائيلي، سيعالج البرنامج النووي الايراني، ولن يتورع عن التخطيط لشن العدوان وادخال المنطقة في دوامة نووية تحرق الاخضر واليابس، فاسرائيل تزعم ان البرنامج النووي الايراني هو اكبر تهديد استراتيجي على وجودها، وبالتالي فان ليبرمان الذي طالب في السابق بقصف سد اسوان المصري، سينتقل الآن من مرحلة المطالبة الى مرحلة التنفيذ، وسيعمل بصفته مسؤولاً عن التهديدات الاستراتيجية على التخطيط لضرب المفاعل النووي في بوشهر الايرانية.

خامساً: عندما انتخب يورغ هايدر الفاشي في النمسا اقامت اسرائيل الدنيا ولم تقعدها، وطالبت بتنحيته من منصبه بسبب آرائه المعادية لليهود وللاسرائيليين، ولكنها في نفس الوقت تشرعن هايدر الاسرائيلي. اي انها تسمح لنفسها بممارسة العنصرية. فلماذا مسموح لها ما هو ممنوع للآخرين؟

سادساً: عندما انتخب عمير بيرتس رئيساً لحزب العمل، علقت عليه الآمال من قبل اليهود والعرب في البلاد، وايضاً في الطرف الفلسطيني، فالرجل طرح اجندة اجتماعية واقتصادية جديدة، واكد في اكثر من مناسبة بانه حمائمي، وبعد الانتخابات اعتقد الكثيرون بان بيرتس سيتبوأ منصب وزير المالية للعمل على دعم الشرائح الضعيفة والمسحوقة، وفي مقدمتها العرب، ولكنه في الامتحان الاول اثبت انه انتهازي الى درجة كبيرة، فقد تسلم حقيبة الامن، وبدأ باطلاق التصريحات الحربجية ليؤكد لمنتقديه بانه صهيوني اكثر من هرتسل، وكان من اكثر المبادرين والمؤيدين للعدوان على لبنان وعلى الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة. ويوم الاربعاء قبل الماضي نشرت صحيفة (معاريف) نتائج استطلاع للراي العام والذي بيّن ان 67 بالمائة من اعضاء حزب العمل يؤيدون البقاء في الحكومة مع ليبرمان (الاستطلاع لم يتطرق الى عرب حزب العمل!). ونحن نعتقد ان هذا مؤشر يكشف حقيقة حزب العمل بقيادة بيرتس.

سابعاً: في اواخر السبعينيات من القرن الماضي عندما كنا طلاباً في الجامعة العبرية في القدس، كان السيد ليبرمان يتعلم العلاقات الدولية ويُعلم الآخرين دروساً في العنصرية، وعندما كنا نتظاهر داخل الحرم الجامعي درج ليبرمان والعديد من العنصريين امثاله، على الاعتداء علينا، ولم يتورع عن تجنيد اصحاب سوابق جنائية يهود من القدس للمشاركة في الاعتداءات المتكررة على الطلاب العرب. في ذلك الوقت كان ليبرمان يعمل حارساً (body guard) في احد النوادي الليلية، واليوم نرى امام اعيننا مشهداً سوريالياً يحدث فقط في اسرائيل: حارس النادي الليلي يتحول الى حارس الدولة الاسرائيلية الجديدة الماضية بخطى حثيثة الى الفاشية.

مبروك عليكم، ليبرمان، لانكم تستحقون سياسياً من هذا القبيل، فهو انتم، واسرائيل هي ليبرمان، وكل عام وانتم بخير.

* رئيس تحرير «كل العرب» الصادرة في الناصرة

# ليست حكومة حماس وحدها بل كل الحكومات الفلسطينية مستهدَفة اسرائيليا

د. ابراهيم ابراش*

■ يُكثر المسؤولون في حركة حماس من القول بان الحكومة الفلسطينية التي يترأسونها مستهدفة من طرف اسرائيل والولايات المتحدة بل احيانا يقولون بان كل دول العالم تحاصر هذه الحكومة، فيما كانت الحكومات السابقة – حكومات حركة فتح– صديقة او موالية لاسرائيل والولايات المتحدة الامريكية، وهذا القول يحتاج لوقفة تمعن. لا محاجة بان الحكومة الفلسطينية المنبثقة عن مجلس تشريعي منتخب ديمقراطيا تتعرض لحصار متعدد المجالات ومتعدد الاطراف، فهناك حصار مالي واقتصادي وحصار سياسي ودبلوماسي، واطراف الحصار متعددون على راسهم بطبيعة الحال اسرائيل والولايات المتحدة ودول اوروبية وايضا دول عربية، والمشكلة في راينا ليست وجود الحصار ولكن تعامل حركة حماس مع الحصار وكيف تفهمه وتسوقه للجمهور، المشكلة في استغرابها واستهجانها لما تتعرض له الحكومة التي شكلتها للحصار واعتباره كأمر غير متوقع وكمؤامرة على الحكومة الفلسطينية الراهنة فقط لانها حكومة حمساوية!

والسؤال هو، هل كانت حركة حماس تتوقع من الاطراف المحاصرة لها ان تتعامل معها بمحبة وتعاون لانها حكومة ديمقراطية ومنتخبة؟ ان كانت حركة حماس تعتقد ذلك فانها تمنح شهادة حسن نية للسياسة الامريكية في المنطقة الخاصة بنشر الديمقراطية وتشجيع الجماعات السياسية على الانخراط بالعملية الديمقراطية، واعتقد انه لا يخفى على قادة حركة حماس بان الديمقراطية الفلسطينية وتحديدا العملية الانتخابية، ما كان لها ان تكون لولا الضغط والرعاية الامريكية ومعها الرباعية للانتخابات، كما لا يخفى عليها ان الديمقراطية الموجهة امريكيا سواء في فلسطين او العراق او مصر وفي دول اخرى، هي ابعد من ان تسعى لتجسد تجسيدا حقيقيا ارادة الامة. الولايات المتحدة لا ولم ينتابها الحزن والالم لاننا لسنا غير ديمقراطيين وبالتالي تريدنا ان نكون ديمقراطيين! بل تسعى لتوظيف بعض خطاب وآليات الممارسة الديمقراطية لتحقيق اهداف تتناقض جوهريا مع جوهر الديمقراطية وهو تجسيد ارادة الامة. ومن جهة اخرى فان الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل ومن يدور في فلكهما لم يكونوا ضد حقوقنا المشروعة لاننا نريد تحقيقها بالمقاومة او لاننا غير ديمقراطيين، وبالتالي عندما نصبح ديمقراطيين وعندما تصبح حكومتنا منتخبة فان هذه الاطراف ستقدم لنا حقوقنا على طبق من ذهب.

مَن يفكك الخطاب السياسي للحكومة ولحركة حماس سيجد ان هذا الخطاب يعتريه تناقض كبير يعبر عن مأزق حقيقي تعيشه الحركة، وهو مازق الانتقال من حركة جهادية لحركة سياسية تريد ان تكون ديمقراطية في فترة زمنية قصيرة، وهو ايضا مازق التوفيق ما بين المرجعية الايديولوجية الدينية الاممية باعتبار الحركة امتدادا لجماعة الاخوان المسلمين كما يرددون دوما، ومن جهة اخرى متطلبات العمل الوطني النابعة من خصوصية الحالة الفلسطينية وتميزها عن ساحات العمل السياسي التي تشتغل فيها جماعة الاخوان المسلمين.

وهناك تناقض ثالث ينتاب الخطاب السياسي للحكومة وللحركة وهو يستشف عندما تلجأ للدفاع عن نهجها ورفضها للضغوط الممارسة عليها للتعامل مع استحقاقات التسوية، بالقول ان الحكومات السابقة والرئيس ابو عمار لم يشفع لهم كل التنازلات التي قدموها حيث لم تعترف اسرائيل بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بل قتل الرئيس ابو عمار على يد الاسرائيليين. فالحركة هنا وكانها تعترف بانها ليست الوحيدة المستهدفة بل كل الحكومات السابقة، فالمشكلة اذن هي ليست الاعتراف او عدم الاعتراف باسرائيل وبالتسوية بل في ان اسرائيل التي لا تريد التسوية والسلام، وهذا يعني ان الحكومة الحالية لا تُحاصر لانها حكومة حمساوية بل لانها حكومة فلسطينية، وهذا ما نود توضيحه.

وسط الصراعات والخلافات بين الاحزاب السياسية على السلطة وعلى كسب تأييد الشارع، نسى كثيرون حقيقة ان ما يجري ليس سلاما بل مشروع تسوية، ونسوا بان الفلسطينيين ومنظمة التحرير تحديدا لم تدخل التسوية في ظل اوضاع مريحة وبالتالي لم تشارك فيها على قاعدة الندية، ونسي الجميع بان الولايات المتحدة واسرائيل ليسوا، ولم يكونوا، جادين بالسلام، وبالتالي لم يكونوا مرتاحين لوجود سلطة وطنية حقيقية وحكومة فلسطينية قادرة على القيام بمهامها بجدارة واقتدار، ونسي او تناسى الجميع بانه طوال الاثنتي عشرة سنة من وجود السلطة كان هناك صراع حاد بين الفلسطينيين والاسرائيليين على شكل وطبيعة السلطة، ففيما كان الفلسطينيون وعلى راسهم المرحوم ياسر عرفات ـ الذي مارس بعض الامور البروتوكولية التي كانت محل سخرية من البعض كالسجاد الاحمر وطقوس رئاسية تقليدية ـ يريدونها سلطة وطنية تؤسس للدولة وتحافظ على الكيانية السياسية والشخصية الوطنية في ظروف دولية واقليمية غير مواتية، كانت اسرائيل ومعها الولايات المتحدة الامريكية يريدونها سلطة شكلية يتلهى بها الفلسطينيون عسى ولعل ان تنسيهم حقيقة انهم شعب تحت الاحتلال، ولم يتورع كل طرف في استعمال كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لتحقيق اهدافه، وكانت اهم ورقة تستعملها اسرائيل للتخريب على السلطة واعاقة عملها هو التأثير على عمل الحكومات المتعاقبة والحيلولة بينها وبين القيام بمهامها بالرغم من انها ايضا كانت حكومات منبثقة عن مجلس تشريعي منتخب.

وهكذا ولان اسرائيل وامريكا لم تكونا جادتين بالسلام وبالتسوية العادلة، فقد أيدتا السلطة الفلسطينية علنا، فيما كانتا تعملان كل ما من شأنه تفريغها من مضمونها الوطني ووضع العراقيل امامها لمنعها من القيام بمهامها الوطنية، ولم يتوقف الامر على التهرب من الاستحقاقات المفروضة على اسرائيل بمقتضى اتفاقات اوسلو ولواحقه كعدم الانسحاب من مناطق منصوص عليها ووقف الاستيطان الخ، بل تعدى ذلك لاستهداف الحكومة باعتبارها الاداة التنفيذية للسلطة. استهداف الحكومة الفلسطينية في تلك المرحلة اخذ عدة اشكال، منها اعاقة عملها الاداري وعرقلة حرية التنقل بين شطري الوطن، والتدخل في التوظيف وخصوصا للمواقع العليا بحيث كان يوضع الرجل غير المناسب في المكان غير المناسب، واعاقة كل محاولات اصلاح السلطة سواء ماليا او اداريا او سياسيا، وتدمير الاقتصاد الوطني، الا ان اخطر استهداف كان الافساد المالي والاداري.

لم تكن الاموال التي تقدم للسلطة ولرجالها تخدم دائما المصلحة الوطنية، ففي كثير من الاحيان كانت تجري عمليات افساد مالي للحكومة بشكل مباشر، وقد استُدرج كثير من المسؤولين لهذا الفخ واصبحوا اسرى للمال ومَن يمدهم بالمال او بيسر عليهم امر الحصول عليه بعقود خاصة او احتكارات لسلع محددة او تسهيل معاملات تجارية يقومون او يشاركون بها، ولم يتوقف استهداف الحكومات السابقة على الافساد الفعلي بل تعداه بترويج وتضخيم الحديث عن الفساد. الفساد المالي والاداري كان موجودا ولا شك ولكن اسرائيل ومن يدور في فلكها كانوا يضخمون الحديث عن الفساد بل لا يتورعون عن كشف فساد من كانوا ضحية افسادهم، لان افساد الحكومة والقول بفسادها يسيء في النهاية للسلطة الوطنية ولن يعمل على صيرورتها سلطة تؤسس للدولة وتحمي المصلحة الوطنية.

اذن، كل حكومة فلسطينية هي محل استهداف من طرف اسرائيل وليست الحكومة الحالية فقط، لان اسرائيل لا تريد لاي حكومة فلسطينية ان تنجح في تسيير امور الناس وخلق استقرار وطمانينة، بل تعمل دوما على اغراق كل حكومة فلسطينية بمشاكل لا تنتهي، لان نجاح الحكومة الفلسطينية في مهامها الوظيفية من ادارية واقتصادية سيجعل مناطق السلطة مناطق جاذبة للفلسطينيين فيما اسرائيل تريدها مناطق طاردة لهم، ومن جهة اخرى فان نجاح اية حكومة فلسطينية سيقوي السلطة مما يدفع بالانتقال لخطوة اخرى وهي التفرغ للقضايا الاستراتيجية المتعلقة بالتسوية والمفاوضات، حيث سيكون المفاوض الفلسطيني المستند على حكومة وسلطة مستقرة اكثر قوة على طاولة المفاوضات، واسرائيل لا تريد ان تجلس على طاولات المفاوضات مع مفاوضين فلسطينيين اقوياء، هذا ان كانت اصلا تريد المفاوضات.

من المفيد للحكومة الفلسطينية الراهنة ولاي حكومة قادمة ان تقرأ جيدا اسباب تعثر وفشل الحكومات السابقة بالقيام بمهامها، لو قرات حركة حماس جيدا وبصدق تجربة الحكومات السابقة لادركت جيدا انها ليست الحكومة الوحيدة المستهدفة، وانها حتى لو اعترفت باسرائيل وبالتسوية فلن يسمح لها بالنجاح كحكومة ليس لانها حكومة حمساوية بل لانها حكومة فلسطينية، وهذا يتطلب من حركة حماس الخروج من عقدة تضخيم الذات والتمركز على الذات، فاسرائيل تريد ترويج ان المشكلة هي مع حركة حماس حتى تخلق فتنة داخلية وتؤلب الفلسطينيين بعضهم على بعض، فيما مشكلة اسرائيل هي مع كل الشعب الفلسطيني، هذا ما يجب ان تفهمه الحكومة الحالية واية حكومة قادمة.

* أستاذ العلوم السياسية بجامعة الأزهر ـ غزة

Ibrahem_ibrach@hotmail.com

# المقاومة الموحدة وحدها تحقق التجاوز التاريخي في العراق

جمال محمد تقي*

■ قد اينعت ثمار التضحيات الجسيمة، وسيحل موعد القطف، حيث تم ايقاف عجلة المحتلين ومشاريعهم التصفوية، فصاروا في حيرة من امرهم لا يعرفون من اي الابواب او الشبابيك ينسحبون ومع اي حدود من التنازلات يتعاطون.

لقد تحول العراق الى ما هو اعظم من فيتنام، لان للفيتناميين وقتها ارضا محررة وذات سيادة وكانت منها تنطلق جحافل الفيتكونغ بالعدة والعدد ـ فيتنام الشمالية، وكان لهم حلفاء كبار مشاركون، سوفيات وصينيون، اما الحال والعراق، فلا ناصر ولا معين، لا حلفاء بوزن الاعداء يكونون ظهيرا قويا لمد مقاومة العراق بما يلزم، ولا قطب مضاد يضبط قواعد الترويع والابادة الاستباقية التي تصول وتجول وهي في حل من اي محدد او عرف، مقاومة العراق، وحدها وجها لوجه ضد اعتى قوة عرفتها البشرية بكل تاريخها القديم والحديث، مقاومة العراق عارية الا من عدالة قضيتها وتضامن ودعم شعوبنا العربية والاسلامية المغلوبة على امرها، ومن التضامن الاممي الحقيقي لكل احرار العالم الذي يعاني اصلا من غباء وغطرسة الادارات الامبراطورية في امريكا، على حد تعبير فرناندو الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية والذي حاول ولاول مرة ان يكون موضوعيا فوجد نفسه خارج سرب حاشية الادارة!

بكل ما نملك نحن مطالبون بتقريب اجل الاحتلال وما ترتب عليه، مطالبون باستحضار يوم الملحمة، يوم التجاوز التاريخي الذي به وحده يكون طريق الخلاص من جحيم الاحتلال وسرطانه المتفشي بالجسد العراقي، اليوم الذي تفتح فيه الافاق الحقيقية كي يستعيد شعب العراق حريته ويرسم مستقبله بنفسه دون وصاية او هيمنة، كي يستانف مسيرة تحقيق ذاته بتنمية نفسه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لمصلحة اجياله القادمة، ببناء دولة عصرية دستورية قوية تؤمن ان الانتقال السلمي للسلطة وتكافؤ الفرص والمواطنة اساس لها بمعزل عن اي هوية اخرى، في دولة تؤمن الامن والحياة الكريمة والرفاه لمواطنيها بعقد الحقوق المتساوية والواجبات المتساوية، وحتى يتحقق ذلك ولكي لا يكون الثمن مضاعفا ولكي نوفر على عراقنا مزيدا من الويلات، الجميع مطالب وبالتحديد قوى المقاومة والممانعة العراقية وبكل فصائلها المسلحة وغير المسلحة في الداخل والخارج لان تعقد العزم على الارتفاع بهمتها وطريقة عملها وعلاقاتها مع بعضها الى مستوى المسؤولية التاريخية والى حجم الهجمة الاستئصالية الخطيرة التي لا تستثني احدا بل لا تستبقي على شيء من العراق سوى الركام، مطالبة وقبل كل شيء بتحويل اسلوب المقاومة الى كفاح شعبي متمدد ولكل حسب قدرته، زرع الثقة بالمستقبل الذي ترسمه سواعد المقاومين، وحتى يكون ذلك يسيرا علينا الاتفاق على برنامج عمل وطني شامل هو برنامج التحرير والبناء والتقدم، برنامج الحرية المسؤولة والتعددية المتعايشة برنامج التحول الديمقراطي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا، ان اشد خطر على المقاومة هو الوهم الذي قد يصيب بعض فصائلها من انه قادر لوحده على اختزال الاخرين وانتزاع بيعتهم له بعد ان يفرض شرعيته من خلال وثوبه للسلطة بعد تخلخل الموازين، ان الاستئصال او الاستفراد والاجتثاث والشمولية وضيق الافق كلها طرق معبدة نحو الاستبداد، وعليه فان شرعية المقاومة ستبقى ناقصة اذا لم تستكمل ببرنامج وطني تتواصل عليه ومن اجله الاكثرية الساحقة من كل ابناء الشعب المقاومين والممانعين، شرعية تضحياتها ونضالها لا تكفي لتكون هي شرعة المستقبل بل شرعيتها كممثل للشعب تتأتى من خلال اقرارها لان تكون هي الحارس الامين لارادة الشعب بعد التحرير ولا تكون عبئا عليه، وهنا تكمن اهمية وحدة فصائل المقاومة باتجاهاتها المختلفة لتنتزع جميعا صك التحرير وتحافظ عليه بمرحلة انتقالية، يسير الامور بها المتخصصون الوطنيون تحت اشراف مجلس جبهة التحرير والبناء العراقية حتى تستتب الامور ليتنافس الجميع تنافسا شريفا في ظل اوضاع غير استثنائية ليتسنى لابناء الشعب المفاضلة بين برامج ومشاريع وخصائص كل متنافس على تمثيلهم.

دون ذلك سيكون موعد القطاف نقمة اخرى يدمر فيها المحصول على الارض والشجر حيث لا استعداد ولا خطة ولا ادوات ولا تنسيق بين فعاليات المقاومة بشقيها السياسي والمسلح لتكون ممهدة طبيعية لقيام شرعية جديدة هي شرعية شعبية التحرير وقدرتها على معالجة الاحتياجات الحقيقية لابناء الوطن كله.

## المثلث التاريخي

النضال الوطني ليس منة على الوطن وابنائه، بل هو واجب ليس مقابله ثمن، انما التقدير الوحيد هو تقدير ابناء الشعب لهذا النضال، وعندما يمنح الشعب فرصة حقيقية للاختيار فمن الطبيعي وقتها سيكون للمناضلين اصحاب الادوار المشرفة والنزيهة في معاركه الحظ الاوفر في هذا الاختيار.

لقد افرز مرجل التفاعلات السياسية العراقية بين الفئات السياسية والشعبية داخل العراق وخارجه تيارات حية وفعلية لها حضور شعبي ودور سياسي وتعبوي وهي لم تستنفد بعد شحناتها ومداها التاريخي وما زالت تتبلور حولها الاستقطابات الاساسية في مجتمعنا وبتجليات متعددة، واجمالا نستطيع القول ان هناك مثلثا متلازم الاضلاع بين التيار الوطني بكل تراتبية فئاته الليبرالية والديمقراطية، والتيار القومي التحرري ايضا بكل مستوياته، والتيار الاسلامي التحرري، قد كشفت جميعا عن ملامحها الاساسية، وقد لازمت هذه العملية تنقيات وتقلبات وصراعات ليست بالهينة ادت ايضا الى عملية براز للقوى المشوهة وغير الوطنية والتي ربطت مصيرها بمصير الاحتلال وعمليته السياسية العقيمة.

ان تهافت مستويات الفرز الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري المتسارع من جهة والانحسارات المتتالية للطبقة المتوسطة بحيث اصبحت وكانها غائبة كليا، اضافة الى الانهاك الحاصل بالفئات العمرية الفاعلة والقادرة على العمل ـ بسبب التصفية او الاعتقال او الهجرة او التخفي او الادمان ـ ابرز الى الواجهة الاجتماعية جيلا قليل الخبرة من الشباب وجد نفسه مكشوفا امام خيارات صعبة لم يعهدها جعلته اما يتهور في قرارة نفسه او يتعايش مع تفاصيل المشهد وكانها قدر، ورغم ذلك فإن خبرة هذا الجيل بتصاعد ملفت يعزز خياراته الاجتماعية والسياسية وذلك بفعل دور المقاومة والانشداد المتزايد للطرح المعارض للاحتلال وافرازاته المخادعة في الداخل والخارج، هذه العوامل فعلت فعلها في عرقلة انطلاقة الفرز السياسي اجتماعيا وخاصة في مناطق جنوب العراق، لكنها لم تمنعه من التقدم بل كلما تكشفت ملامح المشروع الاحتلالي كلما زاد تواصل الفئات الاجتماعية الحية مع التيارات المقاومة للاحتلال، الوطنية والقومية والاسلامية.

هذه الحالة تستدعي معالجة بمستوى عال من الجهادية المنظورة وغير المنظورة لانها ترتبط اصلا باصل الهدف، هدف التحرير واقامة عراق حر ديمقراطي مستقل، ودون ترجمة وحدة الهدف كونها وحدة للمصير بين التيارات الوطنية والقومية والاسلامية في حلف تاريخي يؤسس لمشروع التجاوز فان الخسارة الاستراتيجية ستكون شاملة بشمول نتائجها.

وفي هذا السياق فان تلاقي هذه التيارات الثلاثة بتحالف تاريخي يضع لنفسه خططا قصيرة وبعيدة المدى امر لا بد منه لتحقيق الانتصار المنتظر وعكسه فان الخسارة ستعم الجميع في نهاية المطاف، وستكون هي ذاتها من يتحمل مسؤولية دورة الخراب الدائرة امام الشعب العراقي وامام التاريخ.

ان دعوة حزب البعث الاخيرة التي تنفتح على الجميع ودون شروط تفرض عليهم، هي خطوة ايجابية بهذا الاتجاه، الذي يجعل من طريق مقاومة الاحتلال واقامة المشروع الوطني هو الفيصل الوحيد لتلاقي كل اطراف هذه التيارات دون وصاية او اقصاء.

من يتمعن في قراءة المبادرة سيجد انها تؤشر الى تواصل قادم تشكل فيه الدعوة هذه اول الغيث ولكي تكون لها انعكاسات ايجابية مطالب البعث قبل غيره لحساسية دوره، وتعقده، تغذيتها وانعاشها على الاصعدة السياسية والميدانية ليجري تحقيقها بالتلاقي الوطني المحصن.

لقد اخذت تتضح يوما بعد اخر الاهمية الاستثنائية لصياغة مشروع برنامج وطني تحرري شامل تتفق عليه تيارات